٢٦

ظَاهِرَةُ

تَصَدُّرِ الأَحْدَاثِ

كتبها

علي بن سالم بن يعقوب باوزير

من منشورات المركز العلمي والدعوي بحضرموت ـ غيل باوزير

منشوراتنا تطلب من مكتبة القدس ومركز القمة ـ بغيل باوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

(المقدمة)

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الأمين ، صلى الله عليه ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليما كثيرا ... أما بعد :

أيها الإخوة الكرام : حديثنا هذه الليلة سيكون عن موضوع (**ظاهرة تصدر الأحداث**) (١) ، وهو موضوع مهم وطويل ، ولكن حسبنا أن نشير إلى أهم عناصره ، وهي أولا : بيان فضل العلم والعلماء ، ثم بيان تفاضل العلوم والأفهام ثم ما ورد من الحث على لزوم الأكابر ، مع بيان من هم الأحداث الأصاغر ، والتحذير من الاغترار بهم ، ثم الإشارة إلى أهم مخاطر تصدرهم قبل تأهلهم ، ثم الإشارة إلى بعض مظاهرهم ، ثم الخاتمة في بيان بعض الوصايا لطالب العلم .

(شرح عنوان المحاضرة)

فـ(الظاهرة) هي الأمر البارز والواضح المنتشر .

و(التصدُّر) هو الترفع والتقدم ، يقال : فلان تصَدَّرَ المجلس ، بمعنى جلسَ في أعلى وأرفع مكان منه ، ويقال : تَصَدَّرَ الفَرَسُ إذا تَقَدَّمَ على الخَيْلِ بصَدْرِه .

و(الأحداث) جمع حدث ، وهو الصغير ، فالأحداث هم الصغار ، أو الأصاغر كما جاء في الحديث .

فالمعنى إذا : هو ظاهرة تقدم الصغار بين يدي الكبار ، وترفعهم عليهم ، وخوضهم في أمور ليست من اختصاصهم .

---

(١) هي محاضرة ألقيت بمسجد باناعمة بالديس / المكلا ، ضمن الأسبوع العلمي الذي أقيم تحت إشراف جمعية الحكمة اليمانية جزاهم الله خيرا .

(طرف في فضل العلم والعلماء)

أيها الإخوة الكرام : لا يخفى عليكم أن الله تعالى رفع من شأن أهل العلم ، وأعلى من قدرهم ، ونوه بفضلهم ، فقال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾، وزكاهم وعدلهم واستشهدهم بقوله : ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ ونفى استواءهم مع أهل الجهل والعمى ، فقال تعالى : ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ ، أي لا يستوون أبدا ، كما لا تستوي الظلمات والنور ، ولا الظل ولا الحرور ، ولا الأحياء ولا الأموات ... والأدلة في بيان فضل العلم وشرف العلماء من الكتاب والسنة وكلام الأئمة كثير جدا يصعب حصره وذكره .

(تفاضل العلوم والأفهام)

ولا يخفى عليكم أيضا أن العلوم متفاضلة ، والأفهام متفاوتة ، حتى بين الأنبياء والرسل كما قال تعالى : ﴿ ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا ﴾ ، وقال : ﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ﴾ ، ولما عرضت قضية على نبي الله داود وسليمان عليهما السلام ، وأفتى فيها كل منهما بخلاف الآخر قال تعالى : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ ، أي ولم نفهمها داود عليه السلام ، ثم أثنى عليهما جميعا فقال : ﴿ وكلا آتينا حكما وعلما ﴾ ، ومع ثبوت هذا الفضل لسليمان عليه السلام فقد قال له الهدهد : ﴿ أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين ﴾.

وإن من مراعاة رتب العلماء مراعاة السن أيضا ، وذلك لأن العلم تراكمي ، فعلم من له عشرون سنة ليس كعلمه وله أربعون سنة ، وهذا أمر ظاهر ، فكلما امتد الزمان بالإنسان ازداد علما وتجارب ، ولهذا جعل الله تعالى مرد مهمات الأمور ، ومعضلات المسائل إلى كبار العلماء دون صغارهم ، فقال تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ ، لأنهم أقرب إلى إصابة الحق ، ومعرفة الصواب ، وأبعد عن حماس الشباب وتهوره وطيشه ، فجعل الشرع لكل قدره ومنزلته ، ولكل مجاله وتخصصه ، كيف لا ؟ وهذه الملائكة مع ما لها من المقام العالي ، والمنزلة الرفيعة تقول : ﴿ وما منا إلا له مقام معلوم ﴾ ، ورُويَ عن النبي ﷺ أنه قال : (أنزلوا الناس منازلهم) رواه مسلم في صحيحه بسند فيه انقطاع ، ومعناه صحيح .

(الحث على لزوم غرز الأكابر والتحذير من الاستغناء عنهم بالأصاغر)

ومن هنا جاء الأمر بلزوم الأكابر ، والحث على توقيرهم ، والأخذ عنهم ، والتحذير من الإعراض عنهم ، أو احتقارهم ، والاستهانة بهم ، فقال النبي ﷺ : (البركة مع أكابركم) رواه الطبراني في الأوسط والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم من حديث ابن عباس ﷺ [صحيح الترغيب والترهيب] ، فالبركة : هي الخير الكثير ، والأكابر : أي في السن والعلم ، والمعنى : الزموا الأكابر ومنهم العلماء ، فإن الخير والفائدة والسلامة إنما تكون معهم .

وتبرأ النبي ﷺ ممن لا يحترم الكبير ، ولا يقدر العالم ، ولا يعرف له مكانته ومنزلته ، فقال ﷺ : (ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه) رواه أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت ﷺ [حسن / صحيح الجامع] .

وقد دل على اعتبار كبر السن أيضا أحاديث أخرى : كحديث مالك بن الحويرث ﷺ الذي قال فيه النبي ﷺ : (فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمك أكبركم) متفق عليه ، وحديث القسامة حينما أراد بعض الصحابة أن يتكلم ومعه من هو أكبر سنا منه ، فقال له النبي ﷺ : (كبِّرْ كبِّر) متفق عليه .

بل ثبت أن تصدر الأحداث ، والتماس العلم عند الصغار من علامات القيامة وقرب قيام الساعة ، فقال النبي ﷺ : (إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر) رواه الطبراني عن أبي أمية الجمحي ﷺ [صحيح الجامع ، والسلسلة الصحيحة] .

وقد ورد عن السلف أيضا ما يؤكد ذلك :

فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال : (فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير ، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير) . رواه القاسم بن أصبغ في مصنفه بسند صححه الحافظ في الفتح (١ / ٣٠١ ـ ٣٠٢) .

وفي رواية : (ألا وإن الناس بخير ما اتخذوا العلم عند أكابركم ، ولم يقم الصغير على الكبير ، فإذا قام الصغير على الكبير فقد) أي هلكوا . رواه ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٥٨) .

وعن ابن مسعود ﷺ قال : (إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم ، فإذا كان العلم في صغاركم سفه الصغير الكبير) رواه ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله (١ / ١٥٩) .

(من هم الأصاغر ؟)

وقد اختلف العلماء في المراد بـ (الأصاغر) الذين ذكروا في الحديث وفي بعض كلام السلف ؟

١ـ فقيل : هم أهل البدع الذين يقولون بالرأي ، ولا يتبعون الأثر .

٢ـ وقيل : المراد به صغر السن ، فإن الشاب العالم محقور ومستصغر .

٣ـ وقيل : هم الذين لا علم عندهم ، قال بعضهم : الكبير هو العالم في أي سن كان ، ولهذا قالوا : الجاهل صغير وإن كان شيخا ، والعالم كبير وإن كان حدثا .

ويؤيد القول الأخير : أن ابن عباس ﷺ كان يُستفتى وهو صغير ، ومعاذ بن جبل وعتاب بن أسيد ﷺ كانا يفتيان الناس وهما صغيران في السن ، بل ولاهما رسول الله ﷺ الولايات مع صغر سنهما .

فتبين من ذلك أن (الأصاغر) هم صغار العلم ، سواء كانوا صغارا في السن أم كبارا ، وأن الأكابر هم العلماء ، سواء كانوا كبارا في السن أم صغارا .

(بعض ما ورد عن السلف في ذم التصدر قبل التأهل)

ومع ذلك فلا ينبغي للصغار أن يتصدروا قبل الوقت ، فإن ذلك يفوتهم علما كثيرا ، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله : (إذا تصدر الحدث فاته علم كثير) ، وقد يكون سببا في ضلالهم وإضلال الناس بهم ، فإنه لا يسلم من ذلك إلا من رحم الله ﴿ وقليل ما هم ﴾ .

ومما ورد في ذم التصدر قبل التأهل :

قولهم : (فلان تزبب قبل أن يتحصرم) .

وقولهم : (من البلية تشيخ الصحفية) .

ولما قيل لسفيان الثوري رحمه الله فيمن حدث قبل أن يتأهل قال : (إذا كثر الملاحون غرقت السفينة) .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (إذا تكلم المرء في غير فنه أتى بهذه بالعجائب).

ومما قيل في ذلك أيضا : (من حدث قبل حينه افتضح في حينه)، وفي هذا يقول الشاعر: كل من يدعي بما ليس فيه *** فضحته شواهد الامتحان

(أهم مخاطر تصدر الأحداث وتعالمهم)

إن تصدر الأحداث وتعالمهم آفة خطيرة ، ومرض عضال ، يجب الاحتراز منه ، فكما أننا نحث الناس ونرغبهم في طلب العلم الشرعي ، فإننا نحذرهم أشد التحذير من التعالم ، والتعالم هو أن يدعي الشخص العلم ولما يصل إليه ، وأن يتصدر للفتوى قبل أن يتأهل ، وأن يخوض في مسائل هي أكبر منه ، وهذه آفة عند بعض الناس ، وقد بليت المجتمعات الإسلامية بكثير من هذا الصنف ، الذين يدعون العلم وهم صغار ، لم يطلبوا العلم بعد ، أو طلبوا العلم مدة يسيرة ، وإذا بهم يقارعون الأئمة ، ويبارزون العلماء ، وبعضهم يصل إلى حد التكفير والتضليل ، أو التبديع والتفسيق ، بلا علم ولا بينة ، فهؤلاء الصنف من الناس ـ وهم أنصاف الأشبار المتعالمون ـ يجب الحذر والتحذير منهم .

فمن أعظم مخاطر تصدر الأحداث الذين لم يتمكنوا بعدُ في العلم :

أولا : التقول على الله بلا علم ، فمن لم يتمكن من علم الكتاب والسنة ، ولم يدرس أصول العلوم الشرعية لا يسلم ـ غالبا ـ من التقول على الله ﷻ ، والتقول على الله بلا علم من كبائر الذنوب ، ومن أخطر المعاصي ، بل عده بعض العلماء أعظم من الشرك بالله جل وعلا ، واستدل على ذلك بقوله : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن . والإثم والبغي بغير الحق . وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا . وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ يقول ابن القيم رحمه الله تعالى ما معناه : إن الله تعالى ذكر هذه المعاصي على وجه الترقي من الأدنى إلى الأعلى ، فذكر أولا الفواحش ثم الإثم ثم البغي ثم الشرك ثم القول عليه بلا علم ، فجعل القول على الله بلا علم أعظم من الشرك بالله ﷻ ، ولهذا جاء الوعيد الأكيد والتحذير الشديد من التقول على الله بلا علم في آيات منها ، قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴾ .

ثانيا : ومن أعظم مخاطر التعالم : فساد الدين ، لأنه إذا صار كل أحد يتكلم في الدين ، أدى ذلك إلى فساده ، وهذا أمر ظاهر ، ولهذا قيل : إذا كثر الملاحون غرقت السفينة . أي إذا كثر قادة السفينة دخل فيهم من ليس أهلا ، ثم اختلفوا ، وإذا اختلفوا أوشكوا أن يغرقوها ، وهكذا الدين ، فإذا كان كل أحد يتكلم فيه : هذا يحلل وذاك يحرم ، وهذا يوجب وذاك يكره ، فسد دين الناس ، وإذا فسد دينهم فسدت دنياهم وجميع أحوالهم ، ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مشيرا إلى هذا المعنى : ما أفسد الأبدان إلا أنصاف الأطباء ، وما أفسد الأديان إلا أنصاف الفقهاء .

فإذا كان هذا حال أنصاف الفقهاء ، فكيف بأخماس الفقهاء ، أو بأعشارهم ، أو بمن لم يتفقه أصلا في الدين ، لا شك أن فسادهم للدين يكون أعظم ، وخطرهم على الدنيا والمجتمع يكون أكبر ، من هنا كان لزاما على الناس أن يعتنوا بأمر دينهم أعظم من أمر دنياهم ، ويحافظوا عليه أعظم من حفاظهم على أبدانهم ، ولا يأخذون العلم عن كل من هب ودب ، لأن العلم دين ، كما قال الإمام محمد بن سيرين رحمه الله : (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) رواه مسلم ، فلا يسلم للجهلة والسفهاء ، وإنما يؤخذ العلم عن العلماء الراسخين ، والمشايخ الناصحين ، الذين عرفوا بمضي السنوات الطويلة في طلب العلم الشرعي ، على أصول أهل السنة والجماعة ، وعرفوا مع ذلك بالاستقامة والأمانة والتقوى والورع ، ولا يؤخذ عن كل أحد ، لأن خطر ذلك عظيم ، ومفاسده كبيرة .

(من مظاهر تصدر الأحداث وتعالمهم)

فإن قيل : ما هي أهم مظاهر الأحداث المتصدرين ، والصغار المتعالمين ؟ فالجواب :

١ـ من ظاهر ذلك : التسرع في الفتوى ، فترى بعض هؤلاء يأنف من رد السائل والمستفتي ، فيفتي في كل شيء ، كحال مفتي الخنفشار ، وهو رجل ذكر أنه كان يفتي كل سائل دون توقف ، فلحظ أقرانه منه ذلك ، فاتفقوا على امتحانه بنحت كلمة لا أصل لها ؛ ليبينوا كذبه وضلاله ، فجمعوا كلمة (خنفشار) فسألوه عنها ، فأجاب على البديهة بقوله : هو نبت طيب الرائحة ، ينبت بأطراف اليمن ، إذا أكلته الإبل عقد لبنها ، قال شاعرهم اليماني : لقد عقدت محبتكم فؤادي *** كما عقد الحليبَ الخنفشارُ . وقال فلان كذا ، وقال فلان كذا ، وقال النبي ﷺ ... فاستوقفوه ، وقالوا له : كذبت على هؤلاء ، فلا تكذب على النبي ﷺ !

وما زال الناس في كل زمان يبتلون بهذا الصنف من الخنفشاريين ، الذين يفتون في كل شيء ، بل بعضهم يشرع في الجواب قبل انتهاء السؤال ، وبعضهم يفتي فيما يتوقف فيه مشايخ الإسلام ، والأئمة الأعلام ، بل يفتي في المسألة التي لو عرضت على عمر بن الخطاب ﷺ لجمع لها أهل بدر ، وربما يتورع بعضهم إذا سئل عن مسح الخفين ، ويفتي في مسح الرقاب ، أي يتورع عن الفتوى في المسائل اليسيرة كالتيمم ، والمسح على الخفين ، ويتجرأ على المسائل الكبيرة كمسائل التكفير والجهاد .

وقد جعل الله مرد المسائل الكبار إلى أهل الحل والعقد ، وأهل الاجتهاد والاستنباط ، لا لأي أحد من الناس ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ .

ولما كان الأمر بهذه الخطورة ، فقد كانت الفتوى تدور على كثير من الصحابة فيتدافعونها بينهم ، يحيلها بعضهم إلى بعض ، قال ابن أبي ليلى رحمه الله : (أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول) ، وفي رواية : (وما منهم من يحدث بحديث إلا ود أخاه كفاه إياه) .

وهذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، الذي قال فيه الشافعي رحمه الله : إذا ذكر العلماء فمالك النجم ، قال الشافعي رحمه الله : (إني شهدت مالكا ، وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة ، فقال في اثنتين وثلاثين منها : لا أدري) .

وهذا الشافعي ـ وهو من هو في العلم والمنزلة ـ لما سئل عن مسألة سكت ، فقيل له : ألا تجيب يرحمك الله ؟ فقال : (لا أدري الفضل في سكوتي أم في جوابي) .

٢ـ ومن مظاهر تصدر هؤلاء المتعالمين : العجب والغرور والكبرياء ، أما العجب فهو الافتخار بما عنده من العلم ، والغرور هو الانخداع به ، كما قال قارون : ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ ، وأما الكبر فهو : (بطر الحق ، وغمط الناس) كما فسره النبي ﷺ ، أي رد الحق ، واحتقار الناس ، فبعض الناس يحفظ بعض مسائل العلم ؛ ليتعالم بها في المجالس ، ويتطاول بها على الآخرين ، وفي أمثال هؤلاء يقول النبي ﷺ : (من طلب العلم ليجاري به العلماء ، أو ليماري به السفهاء ، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار) رواه الترمذي وغيره من حديث كعب بن مالك ﷺ (صحيح الترغيب والترهيب) .

٣ـ ومن مظاهر التعالم : الطعن في أهل العلم ، ممن عرف باتباع السنة وسلوك منهج السلف ، ونبزهم بألقاب السوء ، وتشويه سمعتهم ، والقدح فيهم ، والتنفير منهم ، كحال بعض المخذولين من أفراخ الخوارج والمعتزلة ، الذين يقدحون في علماء المسلمين ممن لا يوافقونهم في الغلو في التكفير ، ويلمزونهم بالعمالة والنفاق والمداهنة ، يتظاهرون بأنهم هم حماة الإسلام وأهل الغيرة على الدين ، وهم إلى هدم الدين أقرب منهم إلى حمايته ، وبعض الناس إذا أراد أن يرفع من نفسه تكلم فيمن هو أرفع منه من العلماء ليرفع من قدر نفسه عند الناس حتى يقال عنه : إنه أعلم من العالم الفلاني ، ولن يكون هذا أبدا ، فـ﴿ إن الله لا يصلح عمل المفسدين ﴾.

(ختاما بعض الوصايا لطالب العلم)

إذا عرفنا ذلك فنختم هذا اللقاء بوصايا لطالب العلم ، إذا أراد أن يأمن على دينه ، ويوفق للعلم النافع والعمل الصالح ، ويكون ذلك أرجى للقبول عند الله ﷻ فمن هذه الوصايا :

١ـ الإخلاص لله ، بأن يتعلم العلم لله ، فإن العلم أجل العبادات ، بل هو أفضل من نوافل الطاعات ، ولابد فيها من الإخلاص كما قال تعالى : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ ، فيقصد به التقرب إلى الله تعالى ونيل مرضاته ، وأن يرفع الجهل عن نفسه ، ثم عن غيره ، فيتعلم العلم ليصحح عقيدته ، وعبادته ، ومعاملته ، وسلوكه ، ثم يدعو إلى الله تعالى على بصيرة من أمره ، فينفع الله به العباد والبلاد ، ويكون مباركا حيثما كان .

٢ـ أن يطلب علم الكتاب والسنة بفهم سلف هذه الأمة ، وليحذر من الطرق المخالفة لذلك فإن العلم حقيقة هو هذا ، كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله :

العلم قال الله قال رسوله *** قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة *** بين الرسول وبين رأي فقيه

ولابد من التأكيد على أن يكون الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان ، الذين قال الله فيهم : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾، وقال فيهم النبي ﷺ : (خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) متفق عليه من حديث ابن مسعود ﷺ ، ومن تبع هؤلاء من أئمة الإسلام ، وعلمائه الأعلام رحمهم الله تعالى ، ورضي عنهم ، فقد أوجب الله تعالى على

المسلمين اتباع سلفهم الصالح ، وحذر من مخالفتهم بقوله تعالى : ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق ﴾ ، وبقوله : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾ ، وهذا هو الفارق بين أهل السنة والجماعة ، الفرقة الناجية والطائفة المنصورة ، وبين غيرها من الفرق الهالكة .

وذلك لأن سائر الطوائف المنتسبة للإسلام لها طرقها الخاصة في فهم القرآن والسنة على خلاف فهم السلف الصالح رحمهم الله : كالباطنية والصوفية والرافضة والجهمية والمعتزلة والخوارج والمرجئة والقدرية ونحوهم ، فعلى سبيل المثال : الخوارج الذين يكفرون أهل المعاصي يستدلون بقوله تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا ﴾ وقول النبي ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)، وبقوله ﷺ : (لا إيمان لمن لا أمانة له) ونحو ذلك ، ويكفرون جميع الحكام بقوله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ، ولم يعتدوا بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، وأئمة الإسلام قديما وحديثا لهذه النصوص وتفصيلهم فيها .

وقابلتهم المرجئة لتستدل على أنه : لا تضر مع الإيمان معصية بقول النبي ﷺ : (من قال : لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة ، وإن زنى وإن سرق ، وإن زنى وإن سرق) .

والصوفية يذكرون الله باسمه المظهر المجرد مستدلين بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ﴾ ، فيقولون : (الله ، الله ، الله) ، أو باسمه المضمر في ﴿ لا إله إلا هو ﴾ ، فيقولون : (هو ، هو ، هو) ، أو يتمايلون ويتراقصون عند ذكر الله تعالى مستدلين بقوله : ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ﴾ ، وكل ذلك على غير فهم السلف الصالح وعملهم المعروف .

والشيعة الرافضة يقولون قوله تعالى : ﴿ إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴾ : هي عائشة ، مع أن ذلك في زمن موسى ، وقد ذبحوا البقرة في زمنه فعلا ، ولكن كما قال تعالى عن أمثالهم : ﴿ ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ ، ويقولون في قوله تعالى : ﴿ الجبت والطاغوت ﴾ هما أبو بكر وعمر ، وفي قوله تعالى : ﴿ مرج البحرين يلتقيان ﴾ يقولون : هما علي وفاطمة ، وقوله : ﴿ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ يقولون : هما الحسن والحسين ، إلى غير ذلك من التلاعب بكتاب الله ﷻ . ومثل ذلك أيضا موقف أهل البدع والضلال من أسماء الله وصفاته

حيث يعطلونها أو يحرفونها ، أو يمثلونها أو يكيفونها ، لذلك كان من الواجب تقييد الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، حماية لهما من التحريف والتلاعب .

٣ـ أن يلزم غرز كبار علماء المسلمين المشهود لهم بالعلم والأمانة ، ومن سار سيرهم ، وسلك سبيلهم ، فإن أمكنه أن يأخذ عنهم مباشرة فذاك أفضل ، وإلا فبالأخذ عن تلامذتهم الذين عرفوا بلزوم غرزهم ، وإلا فبالعكوف على كتبهم وأشرطتهم ونحو ذلك من وسائل التعليم ، وسؤال أهل العلم الموثوق بهم عما أشكل عليه .

٤ـ أن يتواضع لله ، فلا يستنكف عن الاستزادة من طلب العلم ، فإنه متى توهم أنه استغنى عن العلم فتلك أمارة جهله ، وقاصمة ظهره ، كيف وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ ، فيتعلم ولو كان سنه أكبر من معلمه ، ويتواضع لمعلمه ولإخوانه ، ولمن تحت يديه من الطلبة ، فإن (من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة) رواه البيهقي (حسن / صحيح الترغيب والترهيب) .

٥ـ أن يعمل بعلمه ، فيجتهد في العمل بما علم قدر المستطاع ؛ امتثالا لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾، وقول شعيب: ﴿ وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله ﴾ وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها في النار كما يدور الحمار برحاه ، فيجتمع أهل النار عليه ، فيقولون : أي فلان ما شأنك ؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال : كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه) متفق عليه ، وقد كان بعض الصحابة من شدة حرصه على العمل بالسنة يقتدي بالنبي ﷺ حتى في الأمور العادية كما فعل ابن عمر رضي الله عنه ، حيث رأى النبي ﷺ يبول تحت شجرة ، فكان ابن عمر رضي الله عنه لا يمر بهذه الشجرة وإلا ويبول تحتها ولما مر على الإمام أحمد رحمه الله حديث : (احتجم النبي ﷺ وأعطى الحجام دينارا) ، احتجم أحمد وأعطى الحجام دينارا ، وهكذا يكون صدق الاتباع .

٦ـ أن لا يغتر بعلمه ولا بعمله : قال تعالى : ﴿ ولا تمنن تستكثر ﴾ ، وقال : ﴿ بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴾ ، ولا يكن كقارون حين

قال : ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ ، فالعلم أوله له نشوة ، وقد يحمل الطالب في أول عهده على الفخر والإعجاب بالنفس والتطاول على الآخرين ، وقد ذكر بعض المشايخ عن نفسه أنه كان في أول طلبه للعلم يقرأ في كتاب في الفقه قال : فمررت بعبارة : (ولا يجوز بيع برمبلول ببرمبلول) ، فقلت في نفسي : ما هذا البَرَمْبَلول الذي لا يجوز بيعه ، فراجعت الشروح فلم أجد من شرحه ، ثم راجعت الحواشي فلم أجد من فسره ، ثم راجعت التقريرات على الحواشي فلم أجد من بينه حتى كدت أن أتهم الشراح والمحشين والمعلقين من العلماء والمشايخ بالقصور والتقصير ، ثم قلت : لماذا لا أراجع شيخي في ذلك؟ فلما سألته قال: يا ابني العبارة: ولا يجوز بيع برّ مبلولٍ، ببرٍ مبلول. فالبر معلوم ، والمبلول معروف ولا يحتاج هذا إلى شرح وبيان ، فخجلت من نفسي ، وعرفت قدرها .

٧ـ أن يكثر من اللجوء والتضرع إلى الله تعالى ، ليعيذه من مضلات الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ويفتح عليه فتوح العارفين ، كما كان النبي ﷺ يكثر من قوله : (اللهم إني أسألك علما نافعا) ، ومما يذكر عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه إذا استصعبت عليه مسألة ذهب إلى بعض مساجد البراري ، وأكثر من التضرع إلى الله تعالى قائلا : يا معلم إبراهيم علمني ، ويا مفهم سليمان فهمني ، حتى الله يفتح عليه .

وينبغي له يعلق قلبه بالله تعالى ، ولا يلتفت إلى الخلق ، فإن ثاءهم عليه لا يقربه إلى الله تعالى ، ﴿ ومن يهن الله فما له من مكرم ﴾ ، وذمهم له لا يبعده من الله تعالى ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه لا يضرونه إلا بشيء قد كتبه الله عليه ، فليقطع الطمع بهم ، وليتوكل على الله ، فإن من توكل على الله كفاه ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ .

نسأل الله تعالى أن يفقهنا وإياكم في الدين ويعلمنا التأويل ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .